Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

نماذج من علماء المغرب الأوسط الذين درسوا بالحجاز خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

Examples of Middle Maghreb scholars who studied hijaz during the 7th and 9th centuries Hijri/13th and 15th centuries AD

عبد الرؤوف زواري أحمد AbdraoufZouari Ahmed
abdraouf.zouari@gmail.com
البشير غانية Bachir Ghania أحمد بن خيرة Dr.Ahmed ben Kheira
ghania_bachir80@yahoo.fr Benkheiraahmed1@gmail.com
جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي
University of EchahidHammaLakhder – El- Oued
المؤلف المرسل :عبد الرؤوف زواري أحمدAbdraoufZouari Ahmed الإيميل: abdraouf.zouari@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2020-07-19 تاريخ القبول : 2020-12-11

ملخص:

يستعرض هذا المقال علماء المغرب الأوسط المدرسون في الحجاز خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين. وجدت مكة والمدينة لتكون مركزا إشعاع ديني وعلمي على مدى من الزمان، حيث لم تتوقف الحركة العلمية في أي عصر من العصور الإسلامية، وإنما ظلت مستمرة من القرن الأول الهجري حتى اليوم، فمكة المكرمة أضفيت عليها حلة لا تتوفر لغيرها؛ألا وهو اقتران الحج بطلب العلم. فالقدوم لأداء فريضة الحج عامل من عوامل التواصل والتلاقح والالتقاء، ومناسبة تتسع في رحابها لاحتضان النخب العلمية من كل الآفاق، تلتقي وتتحاور وتتذاكر، وتحقق التلازم الوثيق بين حج العلماء وطلب العلم.

كلمات مفتاحية:العلماء، المغرب الأوسط، مكة، المدينة، الفقه والحديث.

Abstract:

This article presents the scholars of the Central Maghreb who taught in the Hijaz during the seventh and eighth centuries AH, the thirteenth and fifteenth centuries CE. Mecca and Medina were found to be a center of religious and scientific enlightenment over a period of time, as the scientific movement did not stop in any era of the Islamic ages, but rather continued from the first century AH until today, Mecca then was added to it a suit not available to others; namely, the association of pilgrimage and knowledge seeking. Coming to perform the Hajj pilgrimage is a factor of communication and meeting, and it is suitable for gathering scientific elites from all horizons, meeting, talking, and studying, and achieving the close association between scholars Hajj and seeking knowledge .

Key Words :The Scholars; Central Maghreb ; Mecca ; Medina; Doctrine and hadith.

1.مقدمة:

ندبت مجموعة من علماء المغرب الأوسط نفسها للإقراء والتدريس، فانطلقوا يدرسون ما يجيدون ويلقنون ما يعلمون، من فقه وحديث وتفسير وأدب وعلوم متنوعة. فكان تواجدهم بالحجاز قد أعطى دافعا قويا وفعالية كبيرة، فتوجت هذه الفعالية بتخريج أطر علمية نزولا عند حاجيات المجتمع كالأئمة، والفقهاء، والخطباء، والمدرسين، والقضاة، والنابغين، والمفكرين، وعلماء الأدب واللغة،وخير شاهد على هذا الدور المؤثر لعلماء المغرب الأوسط المدرسون كتب التراجم والرحلات التي دونها المغاربة والمشارقة مثل: الغبريني، والسخاوي، والفاسي، وابن فهد...الخ.

وعن بيان أهمية الدراسة هو تسليط الضوء وإماطة اللثام عن نخبة من علماء المغرب الأوسط امتهنت التدريس في الحجاز خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، وما خلفته من تأثير بالعدوة الحجازية.وتأتي إشكالية هذه المقالة من خلال طرحنا للتساؤلات التالية:

أ- ما هي لائحة العلماء الذين تَقَدَّمُوا للتدريس في الحجاز؟

ب- ما الأماكن والحواضر التي انخرطوا فيها لأجل التدريس؟

ج- ما أصناف العلوم التي كان يدّرسها علماء المغرب الأوسط بهاته الحواضر؟

د-ما هي الكتب التي كان يُدَرِسُهَا علماء المغرب الأوسط؟

وأما تقسيم البحث ومنهجيته فقد قمنا بقسيمه إلى مقدمة طرحت فيها إشكالية الموضوع، وصلب الموضوع أجبنا من خلالها على التساؤلات التي أشرنا إليها في المقدمة، وثم خاتمة وضعنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج.

2.المساجد:

1.2 المسجد الحرام:

قد توفر للحرم المكي من الخصائص والمميزات ما يجعل النفوس مشدودة إليه، والأرواح هائمة في حبه، والقلوب عالقة بأكنافه. فهو مهبط الوحي-الينبوع الأول للعلم والمعرفة والمكان-والمكان الذي احتضن الكعبة المشرفة، وتردد في جنباته أصداء أول سورة نزلت تدعوا الناس إلى الأخذ بناصية العلم والثقافة؛ وهي صورة "إقراء". فاجتمع له من القدسية الدينية والعلمية ما جعل العديد من المسلمين ينشئون الرحلة إليه قاصدين التحنث بقدسية والتشرف بالنيل مما يروج في محيطه من معارف وفنون[1].

ويحضر هنا عامل آخر يرفع مكانة مكة، ويضفي عليها حلة لا تتوفر لغيرها؛ ألا وهو اقتران الحج بطلب العلم. فالقدوم لأداء فريضة الحج عامل من عوامل التواصل والتلاقح والالتقاء، ومناسبة تتسع فيها رحاب مكة لاحتضان النخب العلمية من مختلف الحواضر الإسلامية، تلتقي وتتحاور وتتذاكر، وتحقق التلازم الوثيق بين حج العلماء وطلب العلم[2]. فكثيرا ما تجد في سير العلماء تعابير دالة على هذا التلازم مثل: "حج وطلب العلم"[3] أو "حج و جاور وجالس علماء مكة"[4]أو"حج ولقي مشايخ الحجاز واستفاد منهم"[5].

وهذا ما يفسر أن المسجد الحرام من أعظم المراكز العلمية بالحجاز على الإطلاق. فهو بمثابة مقر للتدريس وجامعة مفتوحة لطلبة العلم[6]، وتفيض كتب التراجم بأسماء العلماء والمجاورين الذين درسّوا ودرسوا بها، ومنها على سبيل المثال كتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" وكتاب " الضوء اللامع" حيث اهتم فيه المؤلفان بذكر مئات المختصين في سائر العلوم، والذين كان لأغلبهم حلقات علمية معروفة بأروقة المسجد الحرام.

أشار ابن جبير إلى الحالة العلمية في الحرم المكي، حيث عبر عن ذلك بقوله: "والحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم"[7]، أما عن العلوم التي تدرس بالمسجد الحرام فسليمان عبد الغني المالكي موضحا لهذه الحلقات، وما يدور فيها من علوم دينية مختلفة وأهم هذه العلوم: علم القراءات، والتفسير، والحديث الشريف، والفقه، والعلوم العربية وكان لعلم التصوف نصيب قليل في هذه العلوم[8].

وعليه فأن حلقات العلم في المسجد الحرام كانت تسير للتلاميذ حرية الحضور حسب أعمالهم ومصالحهم، وليس هناك تحديد لأعداد الطلبة، ولم يكن هناك منهجا مقررا أو محددا فالمدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه لطلبته. وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم. أما أماكن التدريس في المسجد الحرام، فقد كانت تتم في أروقته والمقامات الأربعة، كذلك اتخذ العلماء أماكن خاصة لإلقاء دروسهم عند باب إبراهيم وباب العمرة، وباب الندوة، وغيرها من الأماكن الأخرى في المسجد[9].

ومما زاد أهمية المسجد الحرام دينيا وعلميا توفر الكتب اللازمة للتعليم والتدريس. فقد شاهد ابن جبير خزائن الكتب فيه. هذا بالإضافة إلى تأمين الكتب للدارسين وتوقيفها داخل المسجد الحرام[10].

وتفيض المصادر بذكر العديد من المدرسين الذين نشطوا مجالس التدريس بالحرم المكي، خلال الفترة المدروسة. ومن هؤلاء الذين حالفهم الحظ في بلوغ هذا الهدف:

1.1.2. عبد القوي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي أبو محمد البجائي(ت816هـ/1413م)

قال شمس الدين السخاوي " وكان عارفا بالفقه مستحضرا لكثير من الأحاديث والحكايات والأشعار المستحسنة ذا حظ من العبادة والخير ". الشيخ عبد القوي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن معمر ابن سليمان بن عبد العزيز بن أيوب بن علي بن محمد أبو محمد البجائي ويعرف بابن عبد القوي المالكي نزيل مكة[11].

أما عن سيرته فقد قال عنه تقي الدين الفاسي مفصلا: " قدم إلى ديار مصر في شبيبته، فأخذ بها عن الشيخ يحي الزرهوني وغيره من علمائها، وسكن الجامع الأزهر، ثم انتقل إلى مكة، وأخذ بها عن الشيخ موسى المراكشي وغيره . وسمع بها من النشاوري وسعد الدين الإسفراييني وغيرهما[12].

إضافة إلى ما جاء في سيرته المفصلة عن تقي الدين الفاسي، فقد جاء في كتابي " أنباء الغمر" و"الضوء اللامع " جاور بمكة حوالي ثلاثين سنة؛ كان عارفا بالفقه مستحضرا الكثير من الأحاديث والحكايات والأشعار، ذكره تقي الدين الفاسي في كتابه :" تفقه وأفاد ودرّس وأفتى وكان خيرا دينا، توفي في 15 شوال وقد جاوز الستين"[13].كما أجمعت المصادر التي ترجمت لهذا العالم على أن وفاته ليلة الإربعاء ثالث شوال سنة (816هـ/1413م) بمكة ودفن بالمعلاة وحمل نعشه الأعيان من أهل مكة للتبرك به[14].

2.1.2 خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى الجزائري عاش في الفترة مابين سنتي (766هـ-826هـ/1365-1423م)

هو خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى بن عيسى بن محمد أبو الخير الصنهاجي الجزائري، المغربي المالكي الذي عاش في الفترة مابين سنتي:(766هـ-826هـ/1365-1423م)، وهو فقيه مالكي عالم بالحديث ورجالاته[15].

اشتغل في بلاد المغرب بالعربية وغيرها. ولقي من العلماء والصالحين وحفظ عنهم، وقرأ بمكة كثيرا على ابن الصديق والزين المراغي والقاضي علي النويري وغيرهم. وبالمدينة على إبراهيم بن

علي بن فرحون والعلم سليمان الشقاء، وقراء على عدة علماء من القاهرة والإسكندرية وبيت المقدس وتونس.كما أجاز له خلق كثيرون[16].

إضافة إلى سيرته المفصلة فقد قال عنه السخاوي: " وله كتاب الأحاديث القدسيات، وكتاب تذكرة الأعداد لهول يوم المعاد في الأذكار والدعوات وهو كتاب جليل حسن كثير الفوائد ". استقر نهائيا بمكة وجلس للتدريس بها وممن أخذ عنه التقي ابن فهد. وأورد عنه لبعض الطلبة شعرا. توفي بالمدينة في ثامن رمضان سنة ست وعشرين وثمانمائة. ثلاث وعشرين أربع مائة وألف بالبقيع وقد قارب الستين من عمره[17].

2.2المسجد النبوي:

يأتي المسجد النبوي مركزا ثانيا من المراكز العلمية بالحجاز، حيث كانت سواريه والروضة الشريفة أماكن للقراء والمحدثين والفقهاء وغيرهم من العلماء يقصدونها للعلم والتعلم، وكانت حلقات العلم بالمسجد تمثل أبرز مظاهر النشاط العلمي في المدينة ، بما أتاحته من إثراء للحركة العلمية، حيث كان العلماء يلقون دروسا مختلفة في التفسير والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة[18].

وعليه فإن الدراسة في المسجد النبوي لم تنهج منهجا مقررا، أو محددا فالمدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه لطلبته، وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم[19]. أما أوقات التدريس في المسجد النبوي، فقد كان العلماء هم الذين يعينون وقت التدريس حسب جداولهم الدراسية، لأن البعض كان يقوم بإلقاء الدروس في المدارس أو مرتبطا بعدد من الدروس المقررة المخصصة في المسجد النبوي. وكان الدرس يعقد يوميا من قبل الشيوخ، وتضم الحلقة الجميع بلا تفرقة، وغالبا ما يقوم الشيخ بتدريس كتبه أو كتب العلماء المشهورين في شتى فنون المعرفة[20].

أما أماكن التدريس في المسجد النبوي فقد أشار إليها السخاوي : فيذكر عن نفسه أنه عندما جاور في المدينة قرأ اتجاه الحجرة النبوية على مؤرخها البدر بن عبد الله بن فرحون، ويذكر أيضا ضمن أساطين المسجد كانت هناك أسطوانة تعرف بأسطوانة عائشة كان يجلس بجوارها في قراءة الحديث النبوي الشريف وعلومه[21]، وكانت لا تخلوا من كبار العلماء الذين يلتف حولهم طلبة العلم. فهذا بن الرشيد يذكر انه سمع على العديد من العلماء في المسجد النبوي الذين يعقدون مجلسهم أحيانا بجانب رواق الروضة النبوية المباركة.

وفي هذا يقول:" وفصلت صلاة المغرب ثم اتصلت القراءة إلى قريب من العشاء الآخرة من الليلة المسفر صاحبها ونحن نشاهد الروضة الكريمة، وكان يوما مباركا كريما، كثر فيه ترداد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لتردد ذكره الكريم في القصيدة المقروء مرة في كل بيت منه أو مرات، لالتزام قائله اسمه المشرف المحترم في كل قافية من القصيدة على طوله..."[22].

ومما زاد أهمية المسجد النبوي دينيا وعلميا توفر الكتب اللازمة للتعليم والتدريس. فقد شاهد البلوي مكتبة المسجد العظيم التي احتوت على خزانتين كبيرتين، فيهما كتب ومصاحف قرآنية موقوفة على المسجد[23].

فمن أسعدهم الحظ بالإقراء والتدريس في رحاب بالمسجد النبوي:

1.2.2. الشيخ إبراهيم ابن رجب بن حماد التلمساني (ت 755هـ/1354م)[24]

قال عنه ابن فرحون:" كان من المشائخ العلماء الورعين المتنسكين في الخير" الشيخ إبراهيم بن رجب بن حماد البرهان، أبو إسحاق الرواسي التلمساني الشافعي[25]، إضافة إلى ما جاء في سيرته المفصلة عن السخاوي[26]، فقد جاء في كتاب " العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي" ليحي بكلي: كان مقيما في المدينة، واشتهر بفضائله وعرف بطول بقائه في المسجد النبوي مشتغلا في مذهبه الشافعي وتميز بأنه مجيد لعلم الفقه والأصول والحديث واللغة وغيرها. يجلس في أخر المسجد ويدرّس الطلاب حتى انتفعوا منه، وتخرج على يديه عدد من العلماء[27].

إضافة إلى نشاطه بالمسجد النبوي فقد كانت له كتب جليلة في الفقه والأصول والحديث واللغة وغير ذلك، أوقف أكثرها بمكة المشرفة، ووقف بعضها بالمدرسة الشهابية.وتوفي سنة (755هـ/1354م)[28].

2.2.2. محمد بن محمد بن ميمون، أبو عبد الله الجزائري (ت801هـ/1398م)

هو محمد بن محمد بن ميمون أبو عبد الله الجزائري المعروف بابن الفخار، قال تقي الدين الفاسي: " أصله من الأندلس ومولده بالجزائر من بلاد المغرب قرأ بها القرآن والفقه، ثم انتقل إلى تلمسان وأقام بها. وثابر على قراءة العلم على شيوخها، وأقام بتونس سنة أو أكثر بقليل، ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها أشهرا ثم حج. وأقام بالمدينة المنورة"[29].

إضافة إلى ما جاء في سيرته فقد جاء في كتاب الضوء اللامع للسخاوي: " توجه إلى الحجاز وسكن المدينة المنورة خمسة أعوام يؤدب فيها الأبناء"[30]. وقال عنه تقي الدين الفاسي: " هذه الحكاية كتبتها من حفظي بالمعنى الذي حدثني به الشيخ خليل ابن هارون (766-826هـ/1365-1423م)، وفيها منقبة للشيخ أبي عبد الله بن الفخار. وكان من العلماء العاملين الصالحين الأخيار"[31].

توفي في عصر يوم الخميس التاسع والعشرين من رمضان، سنة (801هـ/1398م)، ودفن في صبيحة يوم الجمعة وكان -يوم العيد- قبل صلاة العيد بالمعلاة[32].

3.2.2. الشيخ أبو عصيدة أحمد بن أحمد البجائي(822-856هـ/1419-1460م)

وهو من أشهر مدرسي المسجد النبوي الشيخ أبو عصيدة أحمد بن أحمد المشدالبالبجائي الغساني الأصل والمدني القرار والشهير بأبي عصيدة البجائي ولد سنة (822هـ/1419م) وذلك بمدينة بجاية. نشأ فيها وبدأ بحفظ القرآن في سن الخامسة من

عمره وأكمله في سنتين ونصف ثم اشتغل في حفظ المتون العلمية في التفسير والفقه والقراءات[33].

جاء في نص رحلة أبي عصيدة الشهيرة بـ " رسالة الغريب إلى الحبيب" أنه كان يدرّس الحديث ويشرح صحيح مسلم في المسجد النبوي. وكان أكثر نشاط في شهر رمضان حيث كان يجتمع إليه جمهور عجيب. وذكر أيضا أنه أعطى دروسه بين المنبر والضريح و هو مستقبل الحجرة ومستندا على المحراب وحوله جمع غفير من الطلاب والعلماء[34].

إضافة إلى نشاطه بالمسجد النبوي فقد كان لأبي عصيدة أنشطة علمية أخرى في مجالس المدينة التي كانت منتشرة آنذاك. فقد كان يشرح كتاب الصحيح الجامع للإمام البخاري وكتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض[35].

4.2.2. الشيخ محمد بن مبارك (ت868هـ/1464م)

هو محمد بن مبارك القسنطيني المغربي المالكي نزيل المدينة. استوطنها مدة وقال عنه السخاوي" : وحمده أهلها بحيث رأيتهم كالمثقفين على ولايته وبلغني عن أحواله صالحة، مع تقدمه في العلوم، بحيث أقرأ الطلبة في اللغة العربية والفقه وغيرهما. ومن شيوخه محمد بن عيسى النواجي الأزهري الشافعي توفي سنة 879هـ/1474م. كما قرأ عليه الشفا سعيد بن أبي بكر بن صالح (ت 887هـ/1482م) بالمدينة المنورة[36].

جاء في كتاب " العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي " أن هناك مقرئون آخرون بالمسجد النبوي الشريف تخصصوا في إقراء العربية والفقه، فقد تولى: فخر الدين المصري ذلك سنة (750هـ/1349م). ومنهم محمد بن أبي بكر المراغي (ت819هـ/1416م) الذي تولي إقراء العربية والفقه، وكذلك محمد بن مبارك القسنطيني المغربي نزيل المدينة (ت868هـ/1464م)[37].

3.المدارس

ساهمت الحجاز كغيرها من المدن والحواضر الإسلامية بنصيب وافر في الحركة العلمية ؛ حيث أنشئت بها العديد من المدارس، التي ساهم في إنشائها الملوك والأمراء والوجهاء والتجار، وكانت معظمهما بالقرب من الحرمين الشريفين، ويمكن أن نشير إلى أهم المدارس وأشهرها التي درس بها علماء المغرب الأوسط في فترة الدراسة.

1.3المدرسة المنصورية

أنشأها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن[38]، بالجانب الغربي من المسجد الحرام وذلك سنة 641هـ/1243م، وكانت ملاصقة لمدرسة الزنجبيلي[39]، مقابل مدرسة طاب الزمان الحبشية[40]، وأوقفها على الفقهاء الشافعية. وتسمى أيضا بالنورية نسبة إلى نور الدين لقب الملك المنصور ، وتسمى أيضا المظفرية نسبة إلى الملك المظفر يوسف بن على صاحب اليمن[41].

ومن علماء المغرب الأوسط الذين حالفهم الحظ بالتدريس بالمدرسة المنصورية:

1.1.3.جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان الصقلي البجائي (ت644هـ/1246م)

جاء في كتاب العقد الثمين ما نصه: " هو جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السلمى الصقلي المحتد البجائي المولد، ولد ببجاية سنة (588هـ/1192م)، روي عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة الله بن مُميل الشّيرازي، وتوفي بمكة سنة أربع وأربعين وستمائة"[42].

وكان لهذه المدرسة دور كبير في تدريس العلوم الشرعية ، حيث حدث ودرّس بها علماء ومحدثون كبار من مكة وخارجها، فقد حدث بها جعفر بن عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان الصقلي البجائي (ت644هـ/1246م)، سمع منه بها الحافظ شرف الدين الدمياطي[43]. ومحمد بن عمر محمد ضياء الدين القسطلاني (ت 663هـ/1264م)، وقد تولى بها درس الحديث لأن درس الفقه كان على المذهب الشافعي[44].

4.الأربطة[45]

كان الرباط في أول الأمر يقوم بمهمة الدفاع عن الأراضي الإسلامية، فكان يقام على الأراضي الحدودية المتاخمة للعدو، وعلى ذلك فالرباط عبارة عن بناء حصين يعسكر فيه المتطوعين من المجاهدين في سبيل الله، وذلك امتثالاً لأمر الله {وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم من قُوَّة وَمن رِبَاط الْخَيل ترهبون بِهِ عَدو الله وَعَدُوكُمْ}[46].

لذلك حرص المسلمون على بناء الأربطة في مختلف المدن والثغور الإسلامية المتاخمة للعدوّ منذ القرون الأولى للهجرة . ولما اتسعت الدولة الإسلامية في القرن الرابع للهجرة العاشر الميلادي وقويت شوكتها، رافق ذلك تطور في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تغيرت وظيفة الرباط خاصة في المشرق الإسلامي حيث تحول إلى مسكن للفقراء والمساكين وطلبة العلم[47].

إذًا فالأربطة التي أنشئت في مكة والمدينة، كان لها علاقة بالحجاج الوافدين لأداء مناسك الحج، وبطلاب العلم المجاورين فيها، وأدى إنشائها إلى توفير السبل الراحة لطلاب العلم والحجاج الذين يقيمون فيها خلال موسم الحج، إذ كانت تؤمن لهم المسكن والمأكل، وقد أثر هذا إلى الإقبال على طلب العلم والتفقه في الدين، حيث كانت توفر لهم ما يرفع عنهم غائلة الفقر والعوز. وعلاوة على ذلك فإن بعض الأربطة تلقت أعداد كبيرة من الكتب على سبيل الوقف، ما أتاح لنزلائها فرصة المطالعة والدراسة ضمن تلك الأربطة[48]. ومن الأربطة التي

ذكرتها المصادر منها رباط الموفق الذي درس ودرّس به العديد من علماء المغرب الأوسط.

1.4. رباط الموفق

اكتسب رباط الموفق اسمه من اسم واقفه القاضي الموفق علي بن عبد الوهاب الإسكندري[49]، سنة (604هـ/1207م) وعرف برباط المغاربة أيضا[50]، لكثرة نزلائه من أهل المغرب، وجعله خاصا بالفقراء والمتعبدين من المجاورين[51] بمكة من المسلمين القادمين من بلاد المغرب[52]،كما عرف أخيرا برباط عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا يعرف سبب شهرته بذلك، ربما كان أقيم محل داره[53]، ويقع أسفل مكة بالقرب من باب إبراهيم[54]، واستمر نشاط الرباط في العهد المملوكي واعتنى المغاربة بتسيير شؤونه[55]. وذكر ابن بطوطة :" أنه من أحسن الأربطة في مكة المكرمة، سكنته أيام مجاورتي بمكة المعظمة "[56].

وقد كان لهذا الرباط شيوخا ومدرسين حفظت لنا المصادر عدة أسماء منهم فممن تولوا مشيخة[57] الرباط ونظارته:

1.1.4. محمد بن موسى بن عائذ الغماري المغربي(756-827هـ/1355-1423م)

هو الشيخ محمد بن موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي المالكي نزيل مكة وشيخ رباط الموفق، يقول تقي الدين الفاسي عن قدومه إلى مكة: " وكان قدومه إلى مكة في سنة ثمانين وسبعمائة، أو قربها، وله من العمر –إذ ذاك- أربع وعشرون سنة. هذا معنى ما بلغني عنه في تاريخ قدومه بمكة وسنّه... وولي مشيخة رباط الموفق بمكة، والنظر في مصالحه سنين كثيرة، ولم يكن يعارضه فيما يختاره في ذاك أحد من فضلة مكة"[58].

واتفق كل من تقي الدين الفاسي وشمس الدين السخاوي: على أنه أجاز عبد القادر بن أبي القاسم محمد المالكي قاضي مكة، حيث حضر عليه دروسا كثيرة قراءة وسماعا، ببحث وتحرير في " ابن الحاجب " و " المختصر " الفرعين وغيرهما من الكتب المالكية، وأذن له التدريس في جميع الكتب المالكية[59].

2.1.4. أحمد بن يحي بن عيسى بن عياش العوكليالقسنطيني (ت860هـ/1455م)

هو أحمد بن يحي بن عيسى بن عياش بن إبراهيم العوكليالقسنطيني نزيل مكة وشيخ رباط الموفق (ت860هـ/1455م)[60] ، عالم مالكي من أ هل قسنطينة، وبها نشأ وتعلم. رحل إلى لمشرق وحج ثم استقر بمكة وولي مشيخة رباط الموفق إلى أن توفي، قال عنه السخاوي: " كان ماهرا في آلات التجارة "[61].

3.1.4. عثمان بن محمد بن علي الصنهاجي(795-863هـ/1393-1458م)

عثمان بن محمد بن علي الصنهاجي(795-863هـ/1393-1458م) عالم مالكي، جمع بين العلم والصلاح، من أهل الجزائر. رحل إلى المشرق حاجاً، ولقي جماعة من العلماء فأخذ عنهم. ثم أستقر في رباط الموفق، ودّرس فيه إلى أن توفي[62].

5.خاتمة:

قصارى القول أن رحلات علماء المغرب الأوسط إلى الحجاز خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، الثالث عشر الخامس عشر الميلاديين، اتسمت بالدينامية والفعالية، واكتست بعدا علميا ترك بصمات واضحة على المسار العلمي، إذ ساهمت في تكوين أطر علمية حجازية كفئة، كما ساهمت في تكوين أطر إدارية ودينية أصبحت ذات باع طويل في مجال القضاء والإفتاء والتدريس، وهو ما مكن من المزيد من توثيق العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز.

6. قائمة المراجع:

1- ابن حجرالعسقلاني: **أنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، (د س ن).

2-أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير: **رحلة ابن جبير**، تحقيق: محمد مصطفي زيادة، المكتبة العامة، الإسكندرية، (د س ن).

3- أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي: **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

4- أبي الحسن علي القلصادي: **رحلة القلصادي**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

5- أحمد أبو عصيدة البجائي: **رسالة الغريب إلى الحبيب**، تعليق وتلخيص: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

6- النجم عمر بن فهد: **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1983.

7- تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي: **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ط2.

8- حسن أحمد حسن بركة: **المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015.

9- حسين عبد العزيز حسين الشافعي: **"الرباط في مكة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية"**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف: هشام محمد علي عجيمي، (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة، أم القرى، المملكة العربية السعودية،1995.

10- خالد بن عيسى البلوي: **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المغرب والإمارات، (د س ن).

11- خالد محسن حسان الجابري: **"الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي"**، رسالة لنيل الماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية، إشراف: مريزن سعيد مريزن عسيري، (غير منشورة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، 1993.

12- سليمان عبد الغني المالكي: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1983.

13– شمس الدين الداودي: **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

14– شمس الدين السخاوي: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة**، تقديم: طه حسين، مطبعة دار النشر الثقافة، القاهرة، 1989.

15– شمس الدين السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، (د س ن).

16- صالح يوسف معتوق: **"علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي"**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: أبو ضيف مجاهد حسن، (غير منشورة)، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1407هـ.

17- طرفة عبد العزيز العبيكان: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

18- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض للنشر والتوزيع، بيروت،1980، ط2.

19- عبد الرحمان الأعرج: **" دور رحلات في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق(ق8/ق14م) "**، مجلة الحكمة، عدد 08، 2016.

20- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية فيما بين التاسع والعشرين الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ط02.

21- عواطف محمد يوسف نواف: **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر الحجاز إلى القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة الملك فهد للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

22- مولاي الحسين الحيان:**"الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة مجاورو المغرب الأقصى نموذجا"**، مجلة الواضحة، العدد 04، 2008.

23- هشام صمايري: **العلماء المغاربة بالمشرق خلال الفترة الموحدية**، رسالة نيل شهادة الماجستير في تاريخ الحضارات الوسيطية، إشراف: محمد حسن، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، بتونس، 2010.

24- هيام علي عيسى: **الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي (ه648/1250م-923ه/1517م)**، أطروحة دكتوراه في العلوم الإنسانية (تاريخ)، إشراف: أحمد حطيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2010.

ت1

7. هوامش:

[1]- مولاي الحسين الحيان:**"الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة مجاورو المغرب الأقصى نموذجا"**، مجلة الواضحة، العدد 04، 2008، ص346.

[2]- نفسه، ص346.

[3]- شمس الدين السخاوي: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة**، تقديم: طه حسين، مطبعة دار النشر الثقافة، القاهرة، 1989، ج1، ص275.

[4]- شمس الدين الداودي: **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج2، ص 376.

[5]- شمس الدين السخاوي: **الضوء اللامعلأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، د س ن، ج4، ص302.

[6]- عواطف محمد يوسف نواف: **الرحلاتالمغربية والأندلسية مصدر من مصادر الحجاز إلي القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة الملك فهد للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص254.

[7]- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير: **رحلة ابن جبير**، تحقيق: محمد مصطفي زيادة، المكتبة العامة، الإسكندرية، د س ن، ص81.

[8]- سليمان عبد الغني المالكي: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1983، ص187.

[9]- خالد محسن حسان الجابري: **"الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي"**، رسالة لنيل الماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية، إشراف: مريزن سعيد مريزن عسيري، (غير منشورة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، 1993، ج02، ص326.

[10]- ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ص91.

[11]- شمس الدين السخاوي: **الضوء اللامع**،ج4، ص302.

[12]- تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي: **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ط2، ج5، ص ص472-473.

[13]- ابن حجر: **أنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، د س ن، ج4، ص139.

[14]- تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**، ج5، ص ص472-473.

[15]- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربيةفيما بين التاسع والعشرين الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ط02، ص189.

[16]السخاوي: **الضوء اللامع**، ج3، ص205؛ السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج2، ص25.

[17]- السخاوي: **التحفة اللطيفة**،ج2، ص25.

[18]- حسن أحمد حسن بركة: **المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015، ص187.

[19]- سليمان عبد الغني المالكي: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص187.

[20]- خالد محسن حسان الجابري: **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ج2، ص327،

[21]- السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج1، ص11.

[22]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي: **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5، 1988، ص ص 23-26.

[23]- خالد بن عيسى البلوي: **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المغرب والإمارات،(د س) ص287.

[24]- أنظر سيرته المفصلة... يحي بكلي: **العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2017، ص ص49-50.

[25]- أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون المالكي: **نصيحة المشاور وتعزية المجاور**، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم للنشر والطباعة، بيروت، 1416هـ، ص155.

[26]- السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج1، ص ص113-115.

[27]- يحي بكلي: **العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي**، ص ص49-50.

[28]- ابن فرحون: **نصيحة المشاور**، ص156.

[29]- تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**، ج2، ص326.

[30]- السخاوي: **الضوء اللامع**، ج10، ص23.

[31]- تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**، ج2، ص326.

[32]- نفسه، ص327.

[33]- يحي بكلي: **العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي**، ص ص54-55.

[34]- أحمد أبو عصيدة البجائي(ت856هـ): **رسالة الغريب إلى الحبيب**، تعليق وتلخيص: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص ص64-65.

[35]- يحي بكلي: **العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي**، ص ص55-56.

[36]- نفسه، ص62؛ عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض للنشر والتوزيع، بيروت،1980، ط2، ص265.

[37]- السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج3، ص ص722-723؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج8، ص295؛ يحي بكلي: **العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي**، ص ص62-63.

[38]- تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**، ج1، ص 117؛ النجم عمر بن فهد: **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، 1983، ص60.

[39]-هي ثاني المدارس النظامية التي أسست بمكة ، وقد تم تأسيسها سنة 579هـ عند باب العمرة. وبني بجوارها رباط خاص يسكن الدارسين فيها، ويفصلها عن المسجد الحرام دار واحدة. وكانت الدراسة فيها على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان...ينظر: سليمان عبد الغني: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص191؛ خالد محسن حسان الجابري: **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ج2، ص371.

[40]- سليمان عبد الغني المالكي: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص192.

[41]- نفسه، ص ص 193-194.

[42]- تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**، ج3، ص 426.

[43]- نفسه، ج3، ص 426.

[44]- نفسه، ج2، ص231.

[45]- توجد الكثير من الأربطة في مكة والمدينة لا يسعنا ذكرها كلها ... ينظر: صالح يوسف معتوق: **"علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي"**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: أبو ضيف مجاهد حسن،(غير منشورة)، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1407هـ، ص ص394-398؛ خالد محسن حسان الجابري: **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ج2، ص415 وما بعد؛ طرفة عبد العزيز العبيكان: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص205 وما بعد.

[46]- سورة الأنفال، الآية6.

[47]-حسين عبد العزيز حسين الشافعي: **"الرباط في مكة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية"**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف: هشام محمد علي عجيمي، (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة، أم القرى، المملكة العربية السعودية،1995، ص14.

[48]- هيام علي عيسى: **الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي (ه648/1250م-923ه/1517م)**، أطروحة دكتوراه في العلوم الإنسانية (تاريخ)، إشراف: أحمد حطيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القديس يوسف ، بيروت، 2010، ص276؛

[49]- هو علي بن عبد الوهاب بن محمد بن أبي الفرج القاضي الموفق أبو الحسن بن القاضي السعيد المفتي أبي القاسم الإسكندري، توفي في شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة وهو جذامي الأصل...ينظر: تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**، ج6، ص ص204-205.

[50]- سليمان عبد الغني المالكي: **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص143.

[51]- ومن العلماء والطلاب المغرب الأوسط المقيمين للمجاورة أو الوافدين للحج أو للعمرة. فقد ذكر القلصادي مجموعة منهم بقوله: " ووقع إلفنا بالشيخ المتبرك به الولي الصالح سيدي قاسم بن الحسين التلمساني الذي خصني ببيته من رباط الموفق ...ووقع أيضا باجتماعنا بالأخ الفقيه الصدر أبي الفضل قاسم بن أبي حديد القسنطيني ... وهناك عرفت الشيخ المرابط سيدي أحمد الزواوي وصديقه الأخ عيسى الزواوي وغيرهم من الأوداء... ينظر: أبي الحسن علي القلصادي: **رحلة**

القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص ص134-135.

[52] - عبد الرحمان الأعرج: **" دور رحلات في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق(ق8/ق14م) "**، مجلة الحكمة، عدد 08، 2016، ص186.

[53] - حسين عبد العزيز حسين الشافعي: **الرباط في مكة**، ص98، طرفة عبد العزيز العبيكان: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، ص208.

[54] - ابن فهد: **إتحاف الورى**، ج3، ص6؛

[55] - عبد الرحمان الأعرج: **" دور رحلات في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق(ق8/ق14م) "**، ص186.

[56] - ابن بطوطة: **تحفة النظار**، ج1، ص153.

[57] - هي التي يطلق عليها تسمية المشيخة والتي نستطيع أن نفرق بين مشيخة المدرسة ككل، ويكون صاحبها مسئولا عاما على المدرسة أو الرباط التي يعين فيها والثاني مشيخة بعض العلوم. كالقول شيخ الحديث شيخ اللغة أو شيخ الإقراء... وصاحب هذه المرتبة يكون مسئولا عن كل ما يتعلق بتدريس اختصاصه من شؤون. وغالبا ما كان أصحاب هاتين المرتبتين يمارسون التعليم بأنفسهم ... ينظر: هشام صمايري: **العلماء المغاربة بالمشرق خلال الفترة الموحدية**، رسالة نيل شهادة الماجستير في تاريخ الحضارات الوسيطية، إشراف: محمد حسن، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، بتونس، 2010، ص163.

[58] - تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**،ج2، ص ص375-376

[59] - تقي الدين الفاسي: **العقد الثمين**،ج2، ص ص375-376.؛ شمس الدين السخاوي: **الضوء اللامع**، ج10، ص 55؛ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج01، ص330.

[60] - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص246.

[61] - السخاوي: **الضوء اللامع**، ج2، ص243.

[62] - عادل نويهض: **معجم أعلامالجزائر**، ص197؛ عمار هلال: **العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية**، ص190.